جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

صورة المرأة المثقّفة في كتب التّراجم الأندلسيّة من القرن الخامس حتّى السّابع الهجريّين

The Image of The Intellectual Woman in Andalusian Biographies From The Fifth The Seventh Venture Ah
The Image of the Intellectual Woman in Andalusian Biographies

إعداد

د/فريال عبدالرّحمن العليّ
أستاذ مشارك محاضرة غير متفرّغة-
مركز اللغات الجامعة الأردنيّة

د. هيثم محمّد جديتاويّ
أستاذ مشارك- محاضر غير متفرّغ-
قسم اللغة العربيّة- جامعة فيلادلفيا

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الثالث-أغسطس)
(الجزء الثالث (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

صورة المرأة المثقّفة في كتب التّراجم الأندلسيّة من القرن الخامس حتّى السّابع الهجريّين

فريال عبد الرّحمن العليّ

أستاذ مشارك محاضرة غير متفرّغة، مركز اللغات، الجامعة الأردنيّة

البريد الإلكتروني: *feryalalali1@gmail.com*

هيثم محمّد جديتاويّ

أستاذ مشارك- محاضر غير متفرّغ، قسم اللغة العربيّة،جامعة فيلادلفيا

البريد الإلكتروني: *h.jdaitawi@gmail.com*

الملخص

سعت هذه الدّراسة إلى تسليط الضّوء على أبعاد صورة المرأة المثقّفة في الأندلس وقيمة ما أسهمت به من إضافات على الحركة الثّقافيّة عامّة والأدبيّة خاصّة؛ من خلال تحليل ما ورد عن أشهر النّساء فيما وصل إلينا من كتب التّراجم الأندلسيّة من القرن الخامس حتّى القرن السّابع الهجريّين، في محاولة لمراجعة الأدبيّات المستقرّة في الوعي الجمعيّ عمّا تمتّعت به المرأة الأندلسيّة من حرّيّة فكريّة واجتماعيّة ودورها في الحركة الثّقافيّة بالأندلس، والكشف عن مدى صدق تلك المقولات من وجهة نظر المؤرّخين الّذين ترجموا لحياتهنّ في تلك المصادر، وذلك على ضوء معطيات منهج النّقد الثّقافيّ. وخلصت الدّراسة إلى أنّ صورة المرأة في تلك المصادر كانت نمطيّة ومنقوصة ومهمّشة، ولم يطرأ عليها تغيير يُذكر؛ إذ كانت تراجم النّساء قليلة بل نادرة في بعض المصادر، وغابت المرأة عن مصادر أخرى غيابًا تامًّا، وخُصّصت لهنّ أبواب مستقلّة في نهايات تلك المؤلّفات- الّتي نسخ بعضها عن بعض- بما يُذكّر بمكانة الحريم المنفصلة عن عالم الرّجال في الحياة الاجتماعيّة، وجمعت بين نساء كان لهنّ حضور واضح في الحراك الثّقافيّ عامّة والأدبيّ خاصّة وأخريات لا إنجاز لهنّ يستحقّ الذّكر. وكانت

الأحكام النّقديّة على كينونة المرأة وإنجازاتها وتموضعها في تلك المصادر منطلقة من عقليّة ذكوريّة لأولئك المؤرّخين، ومنسجمة مع الأنساق الثّقافيّة المترسّخة في الوعي الجمعيّ العربيّ عن ثنائيّة الذّكورة والأنوثة عبر العصور، وصعوبة تقبّل فكرة تحرّر المرأة والاعتراف بكينونتها الثّقافيّة المستقلّة؛ ممّا يَصْعب معه قبول فكرة رائجة في الدّراسات المعاصرة مفادها أنّ المرأة الأندلسيّة عاشت حياة فكريّة متحرّرة حظيت بالقبول، أو نجحت في تهشيم الأنساق الثّقافيّة الّتي حاصرت نظيرتها المشرقيّة، فهي لم تقدّم نموذجًا ثقافيًّا مغايرًا بوصفها ذاتًا ثقافيّة مستقلّة، ولم تنجُ من سلطة الرّقيب الدّينيّ والاجتماعيّ في كلّ تفاصيل حياتها .

الكلمات المفتاحية: الأدب الأندلسيّ، النّقد الثّقافيّ، ثقافة الصّورة، المرأة الأندلسيّة، التّراجم الأندلسيّة.

The Image of the Intellectual Woman in And alusian Biographies From the Fifth to the Seventh Century AH

Ferial Abdel Rahman Al-Ali
Associate Professor, Language Center (part-time lecturer), University of Jordan, Jordan

Email: *feryalalali1@gmail.com*

Haitham Muhammad Jdatawi
Associate Professor, Department of Arabic Language (part-time lecturer), Philadelphia University, Jordan

Email: *h.jdaitawi@gmail.com*

Abstract:

This study sought to shed light on the dimensions of the image of intellectual women in Andalusia and the value of the contributions they made to the cultural movement in their society in general and the literary movement in particular. This was done by analyzing what was reported about the most famous women in the books of Andalusian biographies that have reached us from the fifth century to the seventh century AH, in an attempt to review the established literature in the collective consciousness about the intellectual and social freedom that Andalusian women enjoyed and their role in the cultural movement in Andalusia. The study also endeavored to reveal the truth about those claims from the point of view of the historians who wrote their biographies in those sources, in light of the data of the cultural criticism method. The study concluded that the image of women in those sources was stereotypical, incomplete and marginalized and no significant change occurred in it. Women's biographies were few and even rare in some sources, and women were completely absent from other sources Separate chapters were allocated to them at the end of those works, which were copied from each other, a reminder of the

harem's separate position from the world of men in social life, and it brought together women who had a clear presence in the cultural movement in general, and literary women in particular, and others whose achievements are not worth mentioning. The critical judgments on women's existence, achievements, and position in those sources were based on the masculine mentality of those historians and were consistent with the cultural patterns rooted in the Arab collective awareness regarding the duality of masculinity and femininity throughout the ages, as well as the difficulty of accepting the idea of women's liberation and recognition of the existence of their independent intellectuality. That makes it difficult to accept the dominant idea in contemporary studies that the Andalusian woman lived a liberal intellectual life that was accepted, or she succeeded in violating the cultural patterns that besieged her counterpart in Eastern Arab region. She did not present a different cultural model as an independent cultural subject, and she did not escape the authority of religious and social censorship on all aspects of her life.

Keywords: ***Andalusian literature, cultural criticism, image culture, Andalusian woman, Andalusian biographies.***

صورة المرأة المثقّفة في كتب التّراجم الأندلسيّة من القرن الخامس حتّى السّابع الهجريّين

أوّلًا- مدخل نظريّ

بين الصّورة الفنّيّة والصّورة الثّقافيّة

ازدادت العناية في السّنوات الأخيرة بدراسة ثقافة الصّورة- بمختلف أشكالها- بوصفها رافدًا أساسيًّا من روافد النّقد الثّقافيّ، وما يزال المصطلح يتشكّل ويتبلور- من خلال إخضاعه للتّجريب النّقديّ التّطبيقيّ- دون الانتهاء إلى تعريف واضح ومحدّد له يتّفق عليه الدّارسون، وأصبح لدينا وجوه متعدّدة للصّورة، ومنها الصّورة الإعلاميّة والصّورة السّينمائيّة والصّورة الدّعائيّة وغيرها(١)، وتدريجيًّا أخذ النّصّ المكتوب يتبوأ مكانًا بين تلك الصّور، ويستعيد تأثيره في تشكيل الوعي وتوجيهه بعيدًا عن معطيات الصّورة الفنيّة ببعديها؛ المجازيّ القديم كما استقرّ في الدّرس البلاغيّ التّراثيّ، والمعاصر الّذي وجّه اهتمامه إلى الصّورة الذّهنيّة والصّورة بوصفها رمزًا في النّصّ الأدبيّ (الشّعريّ بصورة خاصّة)، ودور الخيال في خلق الصّورة ومصادره(٢).

ويتمحور الفرق بين الصّورة الفنّيّة والصّورة الثقافيّة حول السّياق والوظيفة والمحتوى(٣)، فالصّورة الفنّيّة- من حيث السّياق- تُستخدم في الأدب لتعزيز الجمال

---

(١) للمزيد، انظر: أبو أصبع، صالح (وآخرون)، ثقافة الصّورة في الفنون، وقائع مؤتمر فيلادلفيا الدّوليّ الثّاني عشر، جامعة فيلادلفيا، الأردن، ٢٠٠٧. حنفي، عبد النّاصر، "ثقافة الصّورة"، مجلّة فصول، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ع٦٨، شتاء/ ربيع ٢٠٠٦، ص٣٧٤٠-٤٠٣.

(٢) انظر: البطل، عليّ، الصّورة في الشّعر العربيّ حتّى آخر القرن الثّاني الهجريّ (دراسة في أصولها وتطوّرها)، دار الأندلس للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص١٥-٣٢.

(٣) للمزيد، انظر: هناويّ، نادية، الصّورة الأدبيّة والصّورة الثّقافيّة في الأدب العربيّ الحديث، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ٢٠١٠.

الفنّيّ للنّص بصرف النّظر عن مصدرها، أمّا الصّورة الثّقافيّة فتُستخدم في دراسة الثّقافات والمجتمعات وتحليلها، ويمكن لها أن تكون جزءًا من الأدب، لكنّها تركّز أكثر على السّياق الاجتماعيّ والتّاريخيّ ومحمولاته الثّقافيّة.

وفي إطار الجانب الوظيفيّ، تهدف الصّورة الفنّيّة إلى تحويل الأفكار المجرّدة إلى صور حسّيّة يمكن للقارئ تصوّرها وفهمها، فضلًا عن إثارة المشاعر والتّأمّل من خلال المجاز البلاغيّ أو الخيال الشّعريّ، وخلق الانطباعات الفنّيّة الجماليّة، والارتقاء بذائقة المتلقّي. أمّا وظيفة الصّورة الثّقافيّة فتكمن في تقديم تمثيلات ثقافيّة واجتماعيّة لأفراد جماعة ما من خلال النّصّ؛ ممّا يساعد في فهم العادات والقيم والتّقاليد السّائدة فيه، ويسهم في الكشف عن أنساقه الثّقافيّة الظّاهرة والحفر في مضمراته المتجذّرة.

ويعمد دارس الصّورة الفنّيّة إلى الوقوف على التّقنيّات البلاغيّة؛ مثل: الاستعارات، والكنايات، والتّشبيهات، ومختلف أنواع التّصوير الفنّيّ المستخدمة في النّصّ بوضوح، أو التّشكيل الجماليّ المتكامل للصّورة ومصادرها الحسّيّة المختلفة أو رمزيّة تلك الصّورة المرتبطة بنماذج عُليا. أمّا محلّل الصورة الثّقافيّة فيتعامل مع تقنيّات أخرى؛ مثل: تحديد ملامح الصّورة وأبعادها، وتفكيك أجزائها، واستكشاف نواقصها، وتحليل الشّيفرات والرّموز الثّقافيّة الكامنة فيها.

وليس ثمّة ما يمنع أن تكون الصّورة الفنّيّة جزءًا من الصّورة الثقافيّة عندما يعبّر الأدب عن جوانب ثقافيّة بارزة، كما يتاح للصّورة الثقافيّة أن تستفيد من التّقنيّات الفنّيّة ومحمولاتها اللّغويّة لفرز التّمثيلات الثقافيّة وتصنيفها؛ أيّ يمكن التّعاطي مع الصّورة الأدبيّة التّقليديّة بوصفها أداة من أدوات تحليل الصّورة الثقافيّة الأوسع، كما يمكن للصّورة الأدبيّة أن توسّع مقروئيّتها من خلال الاستفادة من تقنيّات الصّورة الثّقافيّة.

وفي إطار النّقد الثّقافيّ، يستطيع الدّارسون الاستفادة من إمكانات الصّورة

الثّقافيّة- وإن كانت مصطلحًا معاصرًا- في إعادة قراءة التّراث لتقديم فهم أعمق لظواهره الثّقافيّة بما تحمله من أنساق متجذّرة في "اللاوعي" الإنسانيّ عبر العصور؛ إذ تتجاوز النّصّ المكتوب بوصفه مجموعة من الكلمات والجمل المعبّرة عن فكرة أو شعور أو ذوق جماليّ، أو وسيلة لتقديم معلومة ما، إلى التّعامل معه بوصفه "شيفرة ثقافيّة" يمكن من خلالها قياس التّحوّلات العميقة في بنية مجتمع ما أو ثباتها، وانعكاس ذلك على قراءة استقرار أنساقها الثّقافيّة والمعرفيّة أو تغيّرها، وأثر كلّ ذلك في تشكيل هويّتها وذاكرتها الجمعيّة.

ثانيًا- الدّراسات السّابقة

عُني عدد من الدّارسين المعاصرين بالكتابة عن المرأة في كتب التّراجم الأندلسيّة على ضوء المنهج التّاريخيّ التّحليليّ في أغلب الدّراسات الّتي اطّلع عليها الباحثان، وعمدت تلك الدّراسات إلى استقراء أخبار النّساء الأندلسيّات في عموم كتب التّراجم الأندلسيّة فحسب، أو الجمع بينها وبين شقيقتها المغربيّة، أو الموازنة بينها وبين نظيرتها المشرقيّة، واستدلّ من خلالها على مكانة المرأة الأندلسيّة البارزة والمتميّزة في مجتمعها، ودورها في الحياة الثّقافيّة والعلميّة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: "تاريخ المغرب والأندلس- المرأة في كتب التّراجم الأندلسيّة" لمحمّد بنشريفة[1]، وقدّم الباحث فيها قراءة سريعة للنّساء العالمات في الأندلس والمغرب، ووقف على نماذج منها، وخلص إلى دورهنّ المهمّ في الحياة الثّقافيّة والعلميّة.

ومن الدّراسات ما أولت عنايتها لتراجم النّساء في مصدر واحد من المصادر، ومنها على سبيل المثال: "أعلام النّساء مستلّة من كتاب التّكملة لابن الأبّار

(١) بنشريفة، محمّد، "في تاريخ المغرب والأندلس- المرأة في كتب التّراجم الأندلسيّة، مجلّة المناهل، ع٤٤، ١ يونيو ١٩٩٤، ص٨٩-١٠٥.

(ت٦٥٨)"، لمنجد مصطفى بهجت[١]، واعتمد الباحث في هذه الدّراسة على نسخة مخطوطة من الكتاب عمد إلى دراستها وتحقيقها (قبل صدور النّسخة المحقّقة من الكتاب)، وقرأ من خلال محتوى المخطوط النّشاط الأدبيّ للمرأة في الأندلس، فضلًا عن نشاطها العلميّ والثّقافيّ والنّشاطات الإنسانيّة الأخرى، وخلص الباحث في نهاية دراسته إلى أنّ ابن الأبّار أتى على أوصاف عدد من أعلام النّساء مقرونة بأعمال الخير والصّدقات، كما لاحظ أنّ أغلب هؤلاء النّساء لم يكنّ ممّن أدركن الجاه والسّلطان.

وثمّة دراسات تناولت صورة من صور المرأة المتعدّدة في كتب التّراجم، ومنها دراسة بعنوان "المرأة اللغويّة في كتب تراجم العدوتين بين الصّمت والكلام" لحليمة الخيرونيّ، وسعت الباحثة فيها إلى كشف بعض الجوانب من واقع المرأة اللغويّة في كتب تراجم العدوتين التّراثيّة، وتقديم بعض الملاحظات المتّصلة بهذا الواقع، وخلصت الدّراسة إلى أنّ أخبار المرأة اللغويّة- في تلك التّراجم- لم تكن بالقدر الّذي يشفي الغليل؛ إذ لم يفصح المترجمون عن آرائها أو مؤلّفاتها أو مناظراتها؛ ما يمكن معه القول بأثرها في إغناء السّاحة اللغويّة في العدوتين[٢].

ثالثًا- هدف الدّراسة ومنهجها

لمّا كانت المرأة جزءًا لا يتجزّأ من أيّ مجتمع إنسانيّ، فإنّ قراءة صورتها لا تخرج عن قراءة صورة مجتمعها؛ إذ- من خلال تلك الصّورة- يمكن الوقوف على

---

(١) بهجت، منجد مصطفى، "أعلام النّساء مستلّة من كتاب التّكملة لابن الأبّار (ت٦٥٨)"، مجلّة المورد، وزارة الثّقافة والإعلام- دائرة الشّؤون الإعلاميّة- العراق، مج١٩، ع١، ١٩٩٠، ص١٠٠-١٢٤.

(٢) الخيرونيّ، حليمة، "المرأة اللغويّة في كتب تراجم العدوتين بين الصّمت والكلام، مجلّة التّواصليّة، جامعة يحيى فارس بالمدية، الجزائر، مج ٧، ع٢٠، ٢٠٢١، ص١٤٧-١٦٣.

ثوابت نظرة المجتمع إلى المرأة وتحوّلاتها، وقياس مدى تطوّر توزيع الأدوار بينها وبين الرّجل في النّهضة الحضاريّة لمجتمعهما أو محدوديّته؛ على ضوء تطوّر استقلال كيانها أو استمرار تبعيّته، ومدى هيمنة الأنساق الثّقافيّة المتجذّرة على حراكها الثّقافيّ.

وتأتي هذه الدّراسة – استكمالًا لما سبق من دراسات– في محاولة لتقديم صورة المرأة المثقّفة في كتب التّراجم الأندلسيّة– الّتي وصلت إلينا من القرن الخامس حتّى السّابع الهجريّين– على ضوء المنهج الثّقافيّ، وهي فترة كافية نسبيًّا لتحديد ملامح هويّة المرأة الثّقافيّة ورصد حدوث أيّ تحول في علاقتها بمجتمعها وأنساقه الثّقافيّة المتجذّرة، ومن ثمّ تقييم منجزها الثّقافيّ الّذي بدأ– كما تشير المصادر المختلفة– منذ تأسيس الدّولة الأمويّة في الأندلس. كما أنّ التّراجم اللاحقة– على ندرة اعتنائها بالمرأة– كُتبت تأسيسًا على ما سبق، ولا سيّما مع اقتراب أفول الحضارة الإسلاميّة، وقد يتسبّب التّباعد الزّمنيّ باختلاط الصّورة الحقيقيّة بالمخيال الشّعبيّ الّذي قد يضفي على الصّورة أبعادًا لم تكن موجودة في أصل تكوينها وتشكّلها، وهذا أمر ملاحظ في المصادر التّراثيّة المتأخّرة في مجالات عدّة، وليس مقتصرًا على كتب التّراجم.

رابعًا– القسم التّطبيقيّ

من الجدير ذكره أنّ كتب التّراجم من النّصوص المكتوبة المهمّة الّتي تسهم في تشكيل التّصورات الذّهنيّة عن التّراث العربيّ بما تشتمل عليه من سير الأعلام وسيرورتهم (تقدّمهم المتتالي)، وتتشكّل من خلالها صورتهم وصيرورتهم (تحوّلهم النّهائيّ)؛ لذا فهي تعدّ مصدرًا مناسبًا لقراءة الصّورة بكلّ محمولاتها اللغويّة ودلالاتها الرّمزيّة وأبعادها الأنثروبولجية، وأثرها العميق في تشكّل الصّورة الذّهنيّة عن أبرز القضايا الفكريّة والمعرفيّة المتعلّقة بها.

وسيتناول الباحثان صورة المرأة في تراجم تلك الحقبة؛ قرنًا فقرن، لتسهيل رصد التّحوّلات والتّطوّرات الّتي طرأت على الصّورة مع مرور الزّمن (إن وُجدت)، وتحليل آليّة التّوثيق المتّبعة في كلّ قرن، وأثر ذلك في ترسيخ الصّورة أو تطويرها أو إعادة تشكيلها.

أوّلًا- صورة المرأة في تراجم القرن الخامس الهجريّ

يعدّ كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضيّ (ت٤٠٣هـ) من أقدم كتب التّراجم العامّة الّتي وصلت إلينا، وترجم فيه لفقهاء الأندلس وعلمائهم ورواتهم وأهل العناية منهم ملخّصًا على حروف المعجم، ومن بين (١٥١٨) ترجمة، لا نجد سوى ترجمة واحدة لامرأة عالمة، على كثرة ما يشار إلى وجود نساء من أهل العلم الشّرعيّ في الأندلس؛ تلك هي غدا بنت عبد الله بن حمدون[١]، وذكر في ترجمتها أنّها "من أهل قرطبة، حدّثت من كتابها عن سعيد بن عثمان الأعتاقيّ، سُمع منها"[٢]، وقد جاءت ترجمتها في ثنايا الكتاب دون تخصيص باب لها.

وثمّة إشارتان عابرتان إلى محدّثتين في سياق ترجمة والديهما؛ الأولى عائشة بنت إبراهيم بن موسى بن جميل مولى بني أميّة، وذكرها في معرض الحديث عن ترجمة أبيها بالقول: "وكانت لإبراهيم ابنة تسمّى عائشة، حدّثت عن أبيها[٣].أمّا

---

(١) ترجم لأبيها في سطر واحد بقوله: "عبد الله بن حمدون الأسلميّ، من أهل أستجة، كانت له رحلة لقي بها سحنون بن سعيد، ذكره ابن الحارث". ابن الفرضيّ، عبد الله بن محمّد بن يوسف الأزديّ القرطبيّ (ت٤٠٣هـ)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياريّ، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج١، ص٣٧٥-٣٧٦.

(٢) المصدر السّابق، ج٢، ص٥٨١.

(٣) المصدر السّابق، ج١، ص٤٤، وتعدّ ترجمة والدها من التّراجم الطّويلة نسبيًّا في هذا الكتاب، وهو من مشاهير المحدّثين. انظر: ج١، ص٤٢-٤٤.

الثّانية فهي علّة بنت سليمان بن منفوش الّذي "حدّث عن يحيى بن عبد الله الخرسانيّ بحديث منكر، حدّثت به عنه ابنته علّة، وهي أمّ أبي عمرو عثمان بن محمّد بن أحمد السّمرقنديّ"(١).

وليست علّة تلك التّراجم في إيجازها، فالفرضيّ أشار في مقدّمة كتابه إلى أنّه سلك في تراجمه كلّها طريق الاختصار(٢)، إنّما العلّة في ندرة تراجم النّساء فيه على ما ورد في مصادر لاحقة من وجود فقيهات ومحدّثات وصاحبات علم شرعيّ في الأندلس إلى عصره؛ تتناغم إنجازاتهنّ مع هدف الكتاب وغايته، وإن كانت الإشارة في ترجمة غدا بنت عبد الله إلى أنّها صاحبة كتاب وأنّها حدّثت منه مهمّة جدًّا في تأكيد مشاركة النّساء في حركة التّأليف العلميّ أو التّدوين لا في النّشاط الثّقافيّ فحسب، لكن ضياع ذلك الكتاب فوّت على الباحثين فرصة تقييم محتواه، فليست العبرة بوجود مؤلَّف أو مدوّنة لامرأة، إنّما بقيمة ما ألّفت أو دوّنت على ضوء المنجز الثّقافيّ في مجتمعها خاصّة، والمجتمع الإنسانيّ عامّة، وهذه نظرة ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في مؤلَّفات الرّجال كذلك.

أمّا خبر نقل كلّ من عائشة وعلّة العلم عن أبويهما ففيه قراءات إيجابيّة متعدّدة، منها: حرص الرّجال في الأندلس على تعليم بناتهم بأنفسهم، ووجود أسر تتوارث العلم الشّرعيّ رجالًا ونساء، فضلًا عن تقبّل الرّجال أخذ الرّواية عنهنّ.

وفي كتابه "جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس"، بدا الحميديّ (ت٤٨٨هـ) أكثر تنظيمًا من ابن الفرضيّ في تصنيف مؤلَّفه؛ إذ أفرد بابًا للنّساء في نهاية الكتاب، وهذه العزلة المكانيّة لا تُقرأ بوصفها اعترافًا بدور المرأة بقدر ما تعبّر عن

(١) المصدر السّابق، ج١، ص٣٢٤، وترجمة أبيها–وهو من المحدّثين في ج١، ص٣٢٤–٣٢٥.
(٢) المصدر السّابق، ج١، ص٢٣.

سطوة الأنساق الثّقافيّة المتجذّرة في المجتمع الأندلسيّ في كلّ ما يتعلّق بالمرأة، والكامنة في نفس الحميديّ المعبّر عن فحولة مجتمعه[١].

واكتفى الحميديّ بإيراد ترجمة موجزة لثلاث نساء؛ الأولى هي صفيّة بنت عبد الله الرَّيّيّ (٤١٧هـ)، وذكر أنّها توفّيت وهي دون الثّلاثين؛ أي إنّها ولدت – وفق تقديره، بعد عام ٣٨٧هـ، وكلّ ما أثبته في سيرتها أنّها "أديبة شاعرة، موصوفة بحسن الخطّ"، وأورد لها ثلاثة أبيات تردّ فيها على امرأة عابت خطّها ردًّا عمليًّا؛ إذ أظهرت من خلال الكلمات المخطوطة دليلًا عمليًّا على جمال خطّها، وفي الوقت نفسه كشفت عن مقدرة شعريّة لا بأس بها، وإن كانت الأبيات أقرب إلى النّظم منها إلى الشّعر، وهو ما اعترفت به الشّاعرة نفسها حين قالت[٢]:

فَخطّتْ بأبياتٍ ثلاثٍ نَظَمْتُها ليبدو لها خطّي وقلتُ لها انْظُري

فكلّ ما يشغل بالها هو الدّفاع عن موهبتها في الخطّ لا في الشّعر؛ إذ كانت هذه المهارة تفتح أبوابًا للعمل في مهنة نسخ القرآن الكريم والكتب الّتي وفّرت للنّساء دخلًا ماديًّا يغنيهنّ عن ذلّ السّؤال، وكانت النّساء– كما يُلاحظ من الإشارات المختلفة

(١) للحميديّ كتاب مخطوط في البلاغة وتعليم الأدب عنوانه "تسهيل السّبيل"، وقد اشتمل على نصوص ذات صلة متينة بالمرأة يمكن من خلالها استقراء موقف المجتمع منها، وقد حظي بعناية عدد من الدّارسين من وجوه عدّة، ومن الدّراسات المهمّة ذات الصّلة بموضوع هذا البحث: الطّرابلسيّ، حسناء بوزويتة، "كتاب تسهيل السّبيل للحميديّ وأزمة الكيان الأنثويّ، حوليّات الجامعة التّونسيّة، جامعة منوبة– كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات، ع٤٨، ٢٠٠٤، ص٢٧–٥٠.

(٢) الحميديّ، أبو عبد الله محمّد بن فتّوح بن عبد الله (ت ٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق وتعليق: بشّار عوّاد معروف، محمّد بشّار عوّاد، دار الغرب الإسلاميّ، تونس، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٦٠٠.

في المصادر التّاريخيّة المختلفة- أمهر من الرّجال في هذه المهنة، وكان التّنافس بينهنّ كبيرًا، وأشاد عدد من الباحثين المعاصرين بموهبة الأندلسيّات في الخطّ، منهم حسين مؤنس الّذي أشار إلى أنّ نُسَخ القرآن الّتي كتبتها الأندلسيّات كانت "مضرب المثل في الدّقة والجمال"(١).

وسيتكرّر ذكر صفيّة في تراجم أخرى بعد ذلك، لكن لن يضاف إلى ما سبق ذكره شيء غير تلك الأبيات؛ ممّا يجعل عدّها في شاعرات الأندلس والاحتفاء بها- في بعض الدّراسات المعاصرة -ليس بذي قيمة حقيقيّة، ولا يمكن تبنّي رأي نقديّ موضوعيّ على هذا القليل، وما لم تظهر مصادر جديدة تشير إلى أبيات أخرى فسيبقى القول في شاعريّتها عالة على وصف الحميديّ لها بأنّها "أديبة شاعرة".

أمّا الثّانية فهي مريم بنت أبي يعقوب الفُصُوليّ الشَّلْبيّ الحاجّة، وقدّم لها بالقول: "أديبة شاعرة، جزلة مشهورة، كانت تعلّم النّاس الأدب"(٢)، واستطرد مادحًا دينها وحشمتها وفضلها، وهذا المعيار النّقديّ الأخلاقيّ سنجده يتكرّر عند أغلب المترجمين والنّقّاد الّذين ترجموا للأديبات والعالمات ممّن عُرفن بورعهنّ ودينهنّ وخلقهنّ.

ومع ما يؤكّده الحميديّ من شهرة هذه الأديبة - ولا سيّما بعد عام ٤٠٠هـ- إلاّ أنّ ما أثبته في كتابه من شعرها بيتين -ربّما كانت تصف فيهما حالها وقد بلغت السّابعة والسّبعين من العمر- وفيهما تقول(٣):

وما ترتجي من بنتِ سبعـــين حجّةً وسبعٍ كنسجِ العنكبوتِ المُهلهلِ

(١) مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار مطابع المستقبل، القاهرة، ط١، ١٩٨٠، ص٣٣٤.

(٢) الحميديّ، الجذوة، ص٦٠٠.

(٣) المصدر السّابق.

تدبّ دبيبَ الطّفل تسعى إلى العصا وتمشي بها مشيَ الأسيرِ المكبّلِ

كما أورد لها مقطوعة تردّ فيها على الشّاعر ابن المهنّد، وقد بعث إليها بدنانير، وكتب إليها[١]:

ما لي بشكر الّذي أوليتِ من قِـبلي لو أنّني حُزْتُ نطـــقَ الإنسِ والخَبَلِ
يا فردةَ الظُّرْفِ في هذا الزّمانِ، ويا وحيدةَ العصرِ في الإخلاصِ والعملِ
أشبهْتِ مريمًا العـــــذراء في ورع وفُقْتِ خنـــــساءَ في الأشعارِ والمُثُلِ

ولنقف قليلًا عند البيت الأخير من مقطوعة ابن المهنّد، فالمقارنة بين الشّاعرة "مريم" و"مريم العذراء" في الشّطر الأوّل قد لا يكون فقط لوقوع الشبيه على الشبيه اسمًا؛ إنّما قد يُفهم منه أيضًا أنّ الشّاعرة لم تتزوّج رغم أنّها عُمّرت طويلًا كما يشير الحميديّ في ترجمتها، ولو صحّ الأمر فهذه ظاهرة تكرّرت مع عدد آخر من المثقّفات عبر امتداد الوجود العربيّ الإسلاميّ في الأندلس، وهي ظاهرة لافتة للانتباه، فهل كان لحضور المرأة في الحياة العامّة وإسهاماتها في المنجز الثّقافيّ الأندلسيّ أثر سلبيّ في عزوف الرّجال عنها، أم أنّها استغنت بتحقيق ذاتها وإبراز مواهبها عن الزّوج والأولاد؟

هذا عن الجانب الدّينيّ، أمّا الجانب الإبداعيّ فتحضر الخنساء – بثقلها العربيّ ومحمولاته الدّينيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة النّموذجيّة– في الشّطر الثّاني من البيت لا لتتشبّه بها "مريم الحاجّة" إلا لتقارفها إلى منزلة أعلى شعريًّا وأخلاقيًّا، فيتّفق الشّاعر بذلك مع المؤرّخ/ النّاقد على تكريس الأنموذج الدّينيّ المحافظ التّقليديّ في الإشادة بها وبمنجزها الثّقافيّ.

(١) المصدر السّابق.

وقد ردّت عليه الشّاعرة بمقطوعة من ستّة أبيات؛ تشيد بصنيعه هذا وعجزها عن شكره، وتثني على أخلاقه الغرّ، وتشيد بموهبته الشّعريّة الّتي ورثها عن أبيه الشّاعر المهنّد، ومنها قولها(١):

حَلَّيْتَني بحُلىً أصبحـــــتُ زاهيةً ... بها على كلِّ أنثى من حُلىً عُـطُلُ
للهِ أخلاقُكَ الغُـــــرُّ الّتي سُقِيَت ... مـــــــاءَ الفُراتِ فرقّتْ رِقّةَ الغـــزلِ

وختمت الأبيات بقولها:

منْ كانَ والدُه العَضَبُ المهنّدُ لمْ ... يلدْ من النّسل غيرَ البيضِ والأسلِ

ومع اقتراب الشّاعرة من النّمط التّقليديّ في قصائد المديح في البيت الأخير من المقطوعة، إلاّ أنّ معجمها الشّعريّ أنثويّ بامتياز، فقد اختارت تشبيه أبيات ابن المهنّد بالحليّ الّتي تتباهى بها على سائر النّساء، كما شبّهت رقّة أخلاقه برقّة الغزل، وحبّ الزّينة والطّرب للغزل ميل فطريّ عند المرأة لم يتغيّر بجلوس مريم لتعليم النّساء والرّجال؛ إذ كان المهنّد -كما يُفهم من أبياته- ممّن درسوا عليها، ولم تحاول الشّاعرة السّطو على معجم المديح عند الشّعراء الرّجال، أو تكسر مألوفًا شعريًّا، أو تخرج على الأنساق الثّقافيّة المتعارف عليها في بيئتها ومجتمعها، فحظيت برضا الحميديّ وثنائه.

وأمّا الثّالثة الّتي ترجم لها الحميديّ فهي الغسّانيّة، ومن الغريب أنّه لم يُعرف لها اسم مع أنّها كانت شاعرة مشهورة تمدح الملوك، وكلّ ما ذُكر عنها أنّها كانت ببجّانة، وأنّ لها قصيدة طويلة في خيران العامريّ صاحب ألمريّة الّذي تولّى حكمها بين عامي (٤٠٥-٤١٩هـ)؛ ممّا يعني أنّ الغسانيّة كانت على قيد الحياة في أوائل

(١) المصدر السّابق، ص٦٠١

القرن الخامس الهجريّ، وقد أورد الحميديّ من هذه القصيدة ستّة أبيات فقط، ومطلعها[١]:

أتجزعُ أن قالوا: ستظعَنُ أظعانُ وكيفَ تطيقُ الصّبرَ ويْحكَ إنْ بانوا

وفي قصيدتها هذه تعارض ابن درّاج القسطليّ في قصيدته في خيران العامريّ أيضًا، ومطلعها[٢]:

لكَ الخيرُ قد أوفى بخيْرِكَ خَيْرانُ وبُشراكَ قدْ آواكَ عــــزٌّ وسلـــــطانُ

هذا فقط كلّ ما يشتمل عليه باب النّساء في "الجذوة"، لكن لا يمكن اتّهام الحميديّ بالتّقصير في التّرجمة لهنّ؛ إذ يقوم منهجه على الاختصار في التّراجم عامّة، ولكن من المستغرب أن يتجاوز عن عدد من الأدبيات الأكثر شهرة من هؤلاء السّابقات مثل ولّادة بنت المستكفي الّتي توفّيت قبله بأربعة أعوام، أو مهجة القرطبيّة المعاصرة لهما، وثمّة عدّة تفسيرات لذلك:

الأوّل- أن يكون باب النّساء أطول من ذلك، ولكن هذا ما وصل إلينا منه، وهو أمر ليس بمستبعد، ولا سيّما أن تراجم النّساء تقبع في آخر الكتاب، ولم تزاحم النّساء فيه الرّجال على ترتيب حروف المعجم، بل لم يُعنَ بترتيبهنّ- داخل هذا الباب الموصد عليهنّ- على حروف المعجم؛ إذ سبقت مريمُ الغسانيّةَ، رغم تأخّر الميم عن الغين في حروف المعجم.

الثّاني- أن يكون الحميديّ قد التزم منهجًا أخلاقيًّا صارمًا في اختياراته، فاستثنى كلّ أديبة أُثير حولها جدل في سفورها ومخالطتها للرّجال، وهذا التّفسير لو صحّ فينبغي

---

(١) المصدر السّابق، ص٦٠١

(٢) ابن درّاج القسطليّ، أبو عمر أحمد بن محمّد (ت ٤٢١هـ)، ديوان ابن درّاج، تحقيق وتعليق وتقديم: محمود علي مكّيّ، منشورات مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعريّ، الكويت، ٢٠٠٤، ص١٧٣.

مراجعة كلّ ما يمتدحه المعاصرون عن حرّيّة المرأة الأندلسيّة ومكانتها وإسهاماتها في الحياة الثّقافيّة وقيمة منجزها الإبداعيّ، وهذا ما تسعى إليه هذه الدّراسة.

الثّالث- فيما يتعلّق بغياب ولّادة عن التّراجم، فيبدو مقبولًا ما ذكره إحسان عبّاس وآخرون من أنّ الحميديّ قد ألّف كتابه وهو في العراق، فلم يعرف عنها شيئًا[1].

الرّابع- سيأتي ذكره عند الحديث عن ابن بسّام في كتابه "الذّخيرة" بعد قليل.

ثانيًا- صورة المرأة في تراجم القرن السّادس الهجريّ

وصل إلينا من مصادر ذلك القرن عدد من كتب التّراجم المهمّة الّتي كان للنّساء منها نصيب، وهي: "قلائد العقيان" لابن خاقان (ت٥٢٨)، و"الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسّام (ت٥٤٢هـ)، و"الصّلة" لابن بشكوال (ت٥٧٨هـ)، و"بغية الملتمس" للضّبّيّ (ت ٥٩٩هـ)؛ ممّا أسهم في تقديم صورة أكثر تفصيلًا عن المرأة المثقّفة في الأندلس من سابقه.

وستتجاوز الدّراسة هنا التّرتيب التّاريخيّ في العرض نظرًا لارتباط كتاب "الصّلة" بكتابي ابن الفرضيّ والحميديّ؛ إذ نَهَجَ ابن بشكوال في كتابه "الصّلة"- الّذي أراد أن يصل به عمل ابن الفرضيّ في إيراد تراجم جديدة- نَهْجَ الحميديّ في إفراد باب للنّساء ضمّنه التّراجم الثّلاث الواردة في كتاب الأخير دون أن يضيف عليها شيئًا، إنّما اختصر بعض الشّعر، إلاّ أنّه أضاف إلى تلك التّراجم ثلاث عشرة ترجمة جديدة لنساء أسهمن في حقول معرفيّة متنوّعة من مختلف مدن الأندلس؛ منهنّ العالمات الفقيهات المعلّمات مثل: غالبة بنت محمّد المعلّمة وفاطمة بنت يحيى المَغَاميّ

(١) عبّاس، إحسان (وآخرون)، دراسات في الأدب الأندلسيّ، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا، ١٩٧٦، ص١٩٤.

وفاطمة بنت محمّد اللخميّ[١]، والكاتبات الخطّاطات وفي مقدّمتهنّ: لبنى كاتبة الخليفة الحكم المستنصر، ومزنة كاتبة الخليفة النّاصر، وقد جمعت الأولى علوم النّحو والشّعر والحساب إلى موهبتها في الكتابة[٢].

وثمّة إشارة لافتة للانتباه في ترجمته لغالبة؛ إذ ذكر ابن بشكوال أنّ مسلمة بن قاسم ذكر هذه المعلّمة في كتاب "النّساء"[٣]، ولا يُعرف فيما إذا كان هذا الكتاب مستقلًّا لتراجم النّساء أو أنّه باب من أبواب كتابه؛ إذ لم يصل إلينا هذا الكتاب، وثمّة كتاب آخر مفقود أشار إليه ابن سعيد الأندلسيّ (ت٦٨٥هـ) في كتابه "المغرب" لمؤلّف مجهول، وعنوانه "ذهبيّة المساء في حليّ النّساء"[٤]، كما أشار ابن الأبّار في كتابه "التّكملة لذيل الصّلة" إلى مجموع لأبي داوود المقرئ في النّساء[٥]، وقد فوّت ضياع هذه الكتب –وربّما غيرها– فرصة ثمينة لتقديم تحليل أعمق لواقع النّساء المثقّفات في الأندلس.

ومع أنّ ابن الفرضيّ قصر كتابه على أهل العلم الشّرعيّ، إلاّ أنّ ابن بشكوال تجاوز نهج سلفه إلى تقديم ترجمة لشاعرتين؛ إذ ذكر عائشة بنت أحمد القرطبيّة الّتي كال لها المديح والثّناء في غير موضع من ترجمتها، وذكر أنّه "لم يكن في

---

(١) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأندلسيّ القرطبيّ (ت ٥٧٨هـ)، الصّلة، تحقيق: إبراهيم الأبياريّ، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج٣، ص٩٩١.

(٢) المصدر السّابق، ج٣، ص٩٩٢.

(٣) المصدر السّابق، ج٣، ص٩٩١.

(٤) ابن سعيد الأندلسيّ، أبو الحسن عليّ بن موسى (ت٦٨٥هـ)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق وتعليق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤، ص١٤٣.

(٥) ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعيّ البلنسيّ (ت٦٥٨)، التّكملة لكتاب الصّلة، تحقيق: عبد السّلام الهرّاس، دار الفكر للطّباعة، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج٤، ص٢٥١.

حرائر الأندلس في زمانها من يعدلها فهمًا، وعلمًا، وأدبًا، وشعرًا، وفصاحة، وعفّة، وجزالة، وحصافة"، فضلًا عن حسن خطّها وعنايتها بالعلم، وحرصها على تأسيس مكتبة خاصّة لها، فقد كانت ذات ثروة تمكّنها من شراء كلّ ما تحتاجه من كتب، كما كانت ذات مكانة اجتماعيّة عالية، ومع كلّ هذه المزايا الّتي يوردها ابن بشكوال إلاّ أنّها لم تتزوّج قطّ[١]، وكذا حال كلّ من أمة الرّحمن بنت أحمد الزّاهدة، وفاطمة بنت زكريا بن عبد الله الكاتب، وقد عمّرتا طويلًا[٢].

كما ترجم ابن بشكوال لولّادة بنت المستكفي؛ الأشهر بين نساء الأندلس نقلًا عن ابن بسّام على ما يظهر من مضمون التّرجمة، مقدّما صورة إيجابيّة لسيرتها، فهي "أديبة شاعرة، جزلة القول حسنة الشّعر، وكانت تمالط الشّعراء[٣]، وتساجل الأدباء، وتفوق البرعاء"، كما نقل ما سمعه من شيخه أبي عبد الله بن مكّيّ من وصف نباهتها وفصاحتها وحرارة نادرتها، وجزالة منطقها، لكنّ ابن مكّيّ –بعد كلّ هذا المديح والتّقريظ– قال عنها: "لم يكن لها تصاون يطابق شرفها"[٤]، وبدا أنّ هذه إشكاليّة كبرى عند النّقّاد والمؤرّخين الأندلسيّين، فهم يولون الالتزام الدّينيّ والأخلاقيّ عند من يترجمون لهنّ من النّساء أهميّة بالغة لا نراها في تراجم الرّجال، وهذا تكريس آخر لنسق الفحولة في المجتمع الأندلسيّ الذّكوريّ والخضوع لشروطه، وإن اتّكأ على المنظومة الدّينيّة في ظاهر الحُكم، فالالتزام الدّينيّ والأخلاقيّ – في الشّريعة الإسلاميّة– مطلوب من كلّ مسلم ومسلمة، وفي الخروج عليه إدانة للطّرفين على حدّ سواء، لكنّ أغلب الأدبيّات والمرجعيّات في ذلك العصر اكتفت بإدانة المرأة فحسب.

---

(١) ابن بشكوال، الصّلة، ص٩٩٢-٩٩٣.

(٢) المصدر السّابق، ص٩٩٤.

(٣) مالط فلان فلانًا: إذا قال هذا نصف بيت وأتمّه الآخر بيتًا (لسان العرب/ ج٧، ص٤٠٩)

(٤) المصدر السّابق، ص٩٩٦.

وقد دفعت هذه الإشكاليّة ناقدًا أخلاقيًّا مثل ابن بسّام[١] في كتابه "الّذخيرة" إلى نقل الخبر الّذي وسمها بقلّة التّصاون والعفاف بتحرّز أقرب إلى الدّفاع منه إلى الحياد على نقيض ما فعل ابن بشكوال؛ إذ يستخدم في خبر البيتين اللذين كتبتهما ولّادة على عاتقي ثوبها جملة "زعموا"، ثمّ يعلّق قائلًا: "هكذا وجدت الخبر، وأبرأ إلى الله من عهدة ناقليه، وإلى الأدب من غلط النّقل فيه"[٢]، مع أنّه وصفها قبل هذا الخبر بسطرين قائلًا: "على أنّها –سمح الله لها، وتغمّد زللها– اطّرحت التّحصيل، وأوجدت إلى القول فيها السّبيل، بقلّة مبالاتها، ومجاهرتها بلذّاتها"[٣]، وقد كرّر ابن بسّام الجملة الاحترازيّة (زعموا) عندما عرض لمضامين شعرها، وقراءته لأبيات لها في بعض التّعاليق، مؤكّدًا أنّ سبب إضرابه عن ذكره وطويه بأسره "لأنّ أكثره هجاء"، وهو ما كان ابن بسّام/ المؤرّخ والنّاقد الأخلاقيّ يتجنّبه في كتابه، ولا سيّما إذا كان يتعلّق بامرأة من سراة القوم[٤].

ومن اللافت للنّظر أنّ ترجمة ولّادة في الذّخيرة جاءت بعد ترجمة ابن زيدون مباشرة، وكأنّ حضور أحدهما يستدعي حضور الآخر بالضّرورة، وقد بدا ابن بسّام شديد الإعجاب والتّأثّر بشخصيّة ولّادة؛ إذ عدّها واحدة أقرانها بين نساء زمانها، وقد جمعت بين حسن المنظر والمخبر، وأشاد بمجلسها في قرطبة الّذي كان منتدى للأدباء يتهافتون إليه ويخالطونها فيه، فهي كما يصفها– سهلة الحجاب– لكنّه عاد لتحرّزه

(١) للمزيد عن النّقد الأخلاقيّ عند ابن بسّام، انظر: عبّاس، إحسان، تاريخ النّقد الأدبيّ عند العرب، بيروت، دار الثّقافة، ط٣، ١٩٨٣، ص ٥٠١–٥٠٧.

(٢) ابن بسّام، أبو الحسن عليّ بن بسّام الشّنتريني (ت ٥٤٢هـ)، الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج١، ص٤٣٠.

(٣) المصدر السّابق، مج١، ص٤٢٩.

(٤) المصدر السّابق، مج١، ص٤٣٢.

ودفاعه عنها حين أكّد أنّها "تخلط ذلك بعلوّ نصاب وكرم أنساب وطهرة أثواب"[١]، وقد فوّت هذا التّأطير الأخلاقيّ لولّادة عند ابن بسّام على الباحثين فرصة الاطّلاع على شعرها، وإلقاء الضّوء على المزيد من محطّات حياتها.

أمّا النّصّ المنقول على لسان ابن زيدون في ترجمتها فقد أكّد إحسان عبّاس- محقّق الكتاب- أنّه "نصّ يستوقف النّظر، أوّلًا لأنّه على لسان ابن زيدون، وثانيًا لأنّه مصوغ في قالب "مقامة" وأسلوبه لا يشبه أسلوب ابن زيدون أو ابن بسّام"[٢]، ويمكن إضافة سبب آخر للتّوقّف في قبول هذا النّصّ؛ إذ جاء سرد لقاء المتحابّين بلغة لا تنسجم مع البعد الأخلاقيّ في شخصيّة ابن بسّام، كما لم يرد هذا النّصّ عند أيّ من المؤرّخين الّذين نقلوا عنه، فضلًا عن ذلك فقد صرّح التّجانيّ (ت بعد ٧٠٩هـ) في كتابه "تحفة العروس" أنّ هذا النّصّ ليس من أصل الذّخيرة[٣]، وهذا أمر شائع في التّراث العربيّ المخطوط؛ إذ قد يضيف ناسخ أو دارس نصوصًا من تأليفه بطريقة تختلط فيه مع النّصّ الأصليّ للكتاب، وقد نقل التّجانيّ خبر ولّادة من الذّخيرة والصّلة، ولم يزد شيئًا عمّا ذكراه[٤].

وأمّا صلتها بابن عبدوس فقد جاء الحديث عنها في معرض إشادة ابن بسّام بذكاء خاطرها وحرارة نوادرها وهو الوصف نفسه تقريبًا الّذي أورده ابن بشكوال نقلًا عن ابن مكّيّ؛ إذ يروي ابن بسّام أنّ ولّادة مرّت بابن عبدوس ذات يوم واقفًا عند

---

(١) المصدر السّابق، مج١، ص٢٢٩.

(٢) المصدر السّابق، مج١، ص٤٣٠.

(٣) التّجانيّ، محمّد بن أحمد (ت بعد ٧٠٩هـ)، تحفة العروس ومتعة النّفوس، تحقيق: جليل العطيّة، رياض الرّيّس للكتب والنّشر، قبرص، ط١، ١٩٩٢، ص٤٥٤.

(٤) المصدر السّابق، ص٤٥٤-٤٥٥.

بركة أمام داره، وقد نشر كمّيه، ونظر في عطفيه، وحشر أعوانه إليه، فقالت له" أبا عامر:

أنتَ الخصيبُ وهذه مصرُ فتدفّقا فكلاكُما بَحْـــــرُ

فتركته لا يحير حرفًا، ولا يردّ طرفًا"(١).

لكنّ ابن بسّام ألقى –في نهاية ترجمة ولّادة– ظلًّا جميلًا على نفسيّة ابن عبدوس يخّفف من شدّة وطأة اغتيال ابن زيدون لصورته في "الرّسالة الهزليّة"، وما يظهر للقارئ من انعدام بديهته في الخبر السّابق؛ إذ عُمّر وإيّاها حتّى أربيا على الثّمانين، لكنّه حافظ على وصاله لها، واستمرّ بمراسلتها، وحمل على عاتقه عبء تيسير شؤون معيشتها، "أثرًا جميلًا أبقاه، وطلقًا من الظّرف جرى إليه حتّى استوفاه"(٢)، وهذا ما لم يرد أيضًا عند غير ابن بسّام ممّن ترجموا لولّادة، ومنهم المفضّل الضّبيّ (ت٥٩٩هـ) في "بغية الملتمس" الّذي نقل خبرها عن ابن بشكوال باستثناء ما ذكره ابن مكّيّ عن خبر قدوم ولّادة عليه لتعزيته في أبيه، ووافقه على أنّ وفاتها كانت يوم قتل الفتح بن محمّد بن عبّاد لليلتين خلتا من صفر من سنة أربع وثمانين وأربعمئة(٣).

وبهذا يكون ابن بسّام –فيما بين أيدينا من مصادر– هو أوّل من أسّس صورة ولّادة بنت المستكفي الّتي سيستلهم منها أغلب الدّارسين المحدثين من العرب والمستشرقين أحكامهم النّقديّة عنها وعن عصرها، والاحتفاء بها وبعصرها أنموذجًا

(١) ابن بسّام، الذّخيرة، مج١، ص٤٣٢.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) الضّبيّ، ابن عميرة (ت٥٩٩هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياريّ، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج٣، ص٧٣٣.

ثقافيًّا متحرّرًا دون كثير تمحيص من بعضهم، فقد وقع ابن بسّام في تناقض كبير في حكمه على شخصيّة ولّادة؛ يحتفي بها ثمّ يتحرّز من اتّهامها بالتّحرّر في سلوكها، ويتغاضى عن إيراد ما لا يعجبه من شعرها في كتابه(١)، ولو كانت المرأة حرّة على وجه الحقيقة في الأندلس كما يظنّ كثيرون، أو أنّ المجتمع يتقبّل تحرّرها، لما احتاج ابن بسّام إلى تجميل صورتها أو اللجوء إلى المخاتلة اللغويّة للتّوفيق بين إعجابه بها وتقاليد المجتمع المحافظ الّذي ينتميان إليه.

ومع أنّ ولّادة عُمّرت طويلًا إلاّ أنّ ترجمتها حُصرت في عالم الرّجال، ولا نقرأ عنها تفاصيل حياة مستقلّة بعيدًا عن ذلك العالم تتحدّث عن إنجازاتها المختلفة، ونجاحها في أن تكون ذاتًا ثقافيّة مستقلّة، فثمّة فارق كبير بين التّحرّر الجنسيّ المنوط بالجسد والحرّيّة الإنسانيّة المنوطة بالعقل والمعرفة.

ومن الجدير ذكره – في سياق الحديث عن ولّادة– أنّ عدم الإشارة إليها في كتب التّراجم قبل القرن السّادس الهجريّ دفع بعض الدّارسين المحدثين إلى إنكار وجود شخصيّة ولّادة ابتداء، أو فصم العرى بين ولّادة بنت الخليفة المستكفي وولّادة محبوبة ابن زيدون، ومنهم عيد الشّمريّ في كتابه "ولّادة بنت المستكفي بين الحقيقة والأسطورة"، فقد وقف على الرّوايات الأدبيّة الّتي تذكرها؛ مشيرًا إلى أنّ ابن بسّام أوّل من ترجم لها، ثمّ عرض لحال الأندلس ورجالها زمن سقوط الدّولة الأمويّة عامّة، وسيرة الخليفة المستكفي وابن زيدون خاصّة.

واستنادًا إلى الرّوايات الّتي ذكرت أنّ المستكفي مات ولم يعقّب، والأخذ بعين الاعتبار رواية ابن حزم أنّ المستكفي أعقب ابنة واحدة تزوّجها أحد ابني هشام

---

(١) علّقت د. ماريّا تيريسا غارولو على ذلك في دراستها "تراجم ولّادة وإشكاليّاتها". انظر: غارولو، ماريا تيريسا، "تراجم ولّادة وإشكاليّاتها"، دورة ابن زيدون، الأبحاث والوقائع، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين الشّعريّة، الكويت، ٢٠٠٦، القسم الثّاني، ص٧-٣٥.

الرّضيّ دون ذكر اسمها أو صفتها الثّقافيّة أو مكانتها في قومها وفي قرطبة، فقد خلص الباحث في نهاية دراسته إلى أنّه يجوز التّسليم بوجود ابنة للمستكفي تدعى ولّادة، لكنّها ولّادة أخرى غير صاحبة ابن زيدون، وأنّ قصّة حبّ ابن زيدون وصاحبته ولّادة قد شابها بُعْد أسطوريّ مبالغ فيه تسبّب به ابن بسّام، كما يرى أنّ نسبة محبوبة ابن زيدون إلى نساء بني أميّة ما هو إلاّ إساءة متعمّدة لبني أميّة كما أُسيء للعبّاسيّين في قصّة العبّاسة وعليّة بنت المهدي من وجهة نظره، وهي وجهة نظر ربّما تكون مقبولة فيما يتعلّق بضرورة تمحيص الرّوايات التّاريخيّة الّتي ترجمت لولّادة، لكنّ مسوّغات رفض نسبتها لبني أميّة لا تخلو من تحيّز سياسيّ واضح عند الباحث(١).

وكانت ولّادة متفرّدة في حضورها بين رجال الذّخيرة، وهو حضور واقع بين علمين مشهورين؛ ابن زيدون العاشق، وأبيها الخليفة المستكفي، رغم وجود نساء أخريات سواها ممّن اشتهرن بالعلم والأدب في عصره، وكان حري به الإشارة إليهنّ تحقيقًا لهدف تأليفه لهذا الكتاب الّذي عُني فيه بتتبّع محاسن أهله ممّن شاهده بعمره أو لحقه بعض أهل دهره، لكنّه لم يفعل(٢).

وتكرّر هذا الحضور المتفرّد لولّادة في "قلائد العقيان" للفتح بن خاقان، وذلك في أثناء ترجمته لابن زيدون دون أن يخصّها بترجمة مستقلّة عنه، وذكر أنّها ولادة بنت المهدي، وربّما يكون في نسبتها إلى المهدي تصحيف في الأصل المخطوط، أو

---

(١) انظر: الشّمريّ، هزّاع بن عيد، ولّادة بنت المستكفي بين الحقيقة والأسطورة، دار أجا للنّشر والتّوزيع، السّعوديّة، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م. ومناقشة ما ورد في كتابه في: بركات، هشام محمّد، "حول إنكار الشّخصيّات الأدبيّة: شخصيّة ولّادة بنت المستكفي أنموذجًا"، مجلّة جيل الدّراسات الأدبيّة والفكريّة، الجزائر، العدد ٤١، مايو ٢٠١٨، ص١٣١-١٤٠.

(٢) ابن بسّام، الذّخيرة، مج١، ص١٢-١٣.

ربّما يكون ما أشار إليه الشّمريّ صحيحًا بأنّها ليست ابنة المستكفي إنّما امرأة أخرى، ووصفها بقوله: "وكانت من الأدب والظّرف، وتتييم المسمع والطّرف، بحيث تختلس القلوب والألباب، وتعيد الشّيب إلى أخلاق الشّباب"(١)، وهو وصف حسيّ يخلو من أيّ تقدير، ولا يقدّم في ولّادة سوى أنثى مشتهاة لجمالها ودلالها، فلا شعرها ولا مجلسها ولا شيء آخر استوقفه فيها، ولم يشر إليها إلاّ بوصفها محبوبة ابن زيدون؛ يتردّد اسمها في بعض صفحات ترجمته وفي بعض أبيات شعره، وهذا الظّلّ الثّقيل الّذي ألقاه حضور ابن زيدون/ الشّاعر الفحل على حضور ولّادة/ الشّاعرة المستفحلة في المصادر التّراثيّة لم يغادرها حتّى في الدّراسات المعاصرة.

ولم يشر ابن خاقان لا في كتابه هذا ولا في مطمح الأنفس إلى أيّ أديبة أو عالمة أخرى سوى ولّادة، وأبقى المشهد متاحًا لمعرفة الكثير من تفاصيل أعلام الرّجال، وبقيت النّساء وراء حجاب مغلّظ يقبعن في عالم الحريم بعيدًا عنه وعن كتبه.

أمّا الضّبيّ- الّذي جاء العنوان الكامل لكتابه "بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس"- فقد أفرد في نهاية كتابه بابًا لأعلام النّساء على طريقة الحميديّ في "الجذوة" وابن بشكوال في "الصّلة"، ونقل ما أورده الحميديّ عن صفيّة بنت عبد الله ومريم بنت أبي يعقوب والغسانيّة دون أيّ إضافة تذكر، كما نقل عن ابن بشكوال ترجمة كلّ من لبنى ومزنة وغالية وفاطمة بنت يحيى وفاطمة بنت محمّد وولّادة مع تصرّف يسير(٢).

---

(١) ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمّد القيسيّ الإشبيليّ (ت٥٢٩هـ)، قلائد العقيان، تحقيق وتعليق: حسين خريوش، مكتبة المنار، الأردنّ، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٢٢٥.

(٢) الضّبيّ، البغية، ص٧٢٩-٧٣٣.

وقد انفرد الضّبيّ بترجمة شديدة الإيجاز لثلاث شاعرات، هنّ: البَلْشيّة المنسوبة إلى بَلْش بمالَقة، وأورد لها ثلاثة أبيات، والوادي آشيّة المنسوبة إلى وادي آش بغَرناطة، وقد كانت في زمن أبي يعقوب الموحّديّ، وأورد لها مقطوعتين فقط، والثّالثة هي نزهون الغَرناطيّة الأديبة الّتي مدحها بقوله: "كانت سريعة البديهة حاضرة الجواب". وأشار إشارة عابرة إلى امرأة اسمها ريحانة قرأت بألمريّة القراءات كلّها على المقرئ أبي عمرو(١).

ومن اللافت للانتباه أنّ الضّبيّ نقل التّراجم عن الحميديّ وابن بشكوال بأحكامهما الأخلاقيّة على النّساء المترجم لهنّ دون حذف أو تغيير أو اعتراض، لكنّه حين ترجم لنزهون الّتي ستكون صورتها في المصادر اللاحقة أقرب إلى صورة ولّادة لم يستفزّه تحرّرها ومخالطتها للرّجال لمحاكمتها أخلاقيًّا، وفي المقابل لم يحفّزه إتقان ريحانة للقراءات القرآنيّة لإطرائها والثّناء عليها؛ ممّا يشي بأنّ النّقد الأخلاقيّ ربّما يكون قد أرخى سطوته في الأندلس قليلًا مع أفول القرن السّادس الهجريّ، أو أنّ الضّبيّ نفسه لم يكن معنيًّا به، وهو الأرجح.

ثالثًا- صورة المرأة في تراجم القرن السّابع الهجريّ

يبدو القرن السّابع الهجريّ أكثر سخاء في الاحتفاء بنساء الأندلس المثقّفات على قلّة ما وصل إلينا من كتب التّراجم؛ ذلك أنّ ابن الأبّار (ت ٦٥٨هـ) قد ترجم في كتابه "التّكملة لكتاب الصّلة" لأربع وسبعين امرأة، وجاء على ذكر أغلب أعلام النّساء عند سابقيه، وأضاف إليهنّ أخريات.

وعند تتبّع منهجيّة المؤلّف في التّرجمة لأعلام النّساء وآليّات الانتقاء يلاحظ ما يأتي:

---

(١) المصدر السّابق، ص٧٣١-٧٣٢.

١- أفرد لأعلام النّساء بابًا في نهاية الكتاب أسوة بسلفه ابن بشكوال، ولم يُعْنَ بترتيب الأسماء على حروف المعجم.

٢- أورد أعلام النّساء في كتابه من مصدرين؛ أوّلهما النّقل عن سابقيه، وثانيهما السّماع من شيوخه أو شيوخ آخرين.

٣- اتّبع المنهج التّاريخيّ في ترتيب الأعلام؛ بدءًا بعصر الولاة، ثمّ الإمارة، فالخلافة والحجابة العامريّة، ثمّ نساء عصر الطّوائف فالمرابطين ثمّ الموحّدين.

٤- اقتصر في ترجمته لنساء العصر الأمويّ على نساء قرطبة دون سواهنّ من نساء الأندلس، وهو أمر يبدو مسوّغًا ومنطقيًّا؛ إذ ظلّت قرطبة منذ الفتح حتّى نهاية الخلافة الأمويّة موطن العلم والعلماء، لكن لا يُعدم وجود نظيرات لهنّ في المدن الأندلسيّة الأخرى يمكن أن يترجم لهنّ، ولكنّه لم يفعل.

٥- خلط في تراجمه للنّساء بين صاحبات الإنجاز ومن لا إنجاز لهنّ سوى شهرة زوجها أو والدها أو مالك يمينها، فنراه يبدأ بالتّرجمة لخُلّة جارية القاضي معاوية بن صالح الحضرميّ[1]، وكلّ ما نقرأه عنها في سطور قليلة- يدور في فلك تنقّلها من أمير إلى آخر، ثمّ يشير إلى قبحها وحسن جارية لها اسمها سعاد، وكيف أنّ النّاس ضربوا بهما المثل

(١) معاوية بن صالح بن حُدَيْر الحضرمي الحِمصي؛ يُكَنَّى: أبا عبد الرّحمن، وأبا عمرو. وكان فقيهًا راوية عن الشّاميين، وقاضيًا بِقُرْطبة. سَمِعَ منه سفيان الثّوريّ، واللّيث بن سعد، وعبد الرّحمن بن مَهْديّ، وغيرهم. أقَام على مالك حتّى كتب عنه كتبه. قال يحيى بن معين عنه: صَالحٌ. كان عَبْد الرَّحمن بن مهدي يُوَثِّقه. توفّي سنة ثمان وخمسين ومئة. انظر ترجمته في: ابن الفرضيّ، تاريخ علماء الأندلس، ج٢، ص١٣٧، وغيره.

قائلين: "شتّان في البعاد بين خُلّة وسعاد"(١)؛ ممّا يدلّ على تكريس النّظر إلى المرأة بصفاتها الحسّيّة، وإلاّ فما الفائدة من إيراد هذه الحكاية؟

ولم تكن خُلّة واحدة النّساء في ذلك، فقد ترجم بعدها مباشرة لابنة هذا القاضي واسمها حُميدة (ويرجّح ابن الأبّار أنّ خلّة أمّها)، كما ترجم للشّفاء جارية الأمير عبد الرّحمن بن الحكم الّتي أعتقها وتزوّجها، وذكر ابن الأبّار أنّها "كانت من أجمل النّساء عقلًا ودينًا وفضلًا ونسبًا"(٢)، وكذلك ترجم لأمّ الوليد؛ ابنة النّضر بن مسلمة قاضي الجماعة للأمير عبد الله بن محمّد، وقال عنها: "وكانت هي امرأة صالحة لم يعقّب النّضر غيرها"(٣)، ومن النّساء اللواتي ترجم لهنّ أيضًا من نساء المشاهير وبناتهم –دون أن يكون لها إنجاز ثقافيّ يُذكر– شعاع جارية قاسم بن أصبغ البيّاتي الّتي "كانت من صوالح النّساء"(٤)، وعائشة الأندلسيّة زوج عبد الله بن عمر الأندلسيّ الّتي "رحلت حاجّة وأدّت الفريضة"(٥)، وبركة زوجة الفقيه ابن القسّام الّذي أعتقها، وولدت له ابنه الفقيه الصّابونيّ، وقد "كانت امرأة صالحة خيّرة"(٦)، وغيرهنّ من أهل الصّلاح والتّقوى والورع؛ ممّا يدلّ على بقاء المعيار الأخلاقيّ وقوّته في ذلك القرن.

أمّا أشهر هؤلاء النّساء فهي أسماء بنت غالب النّاصريّ وزوج المنصور محمّد بن أبي عامر، ومن سطور عشر نقرأ – بعيدًا عن قصّة مقتل أبيها ودور زوجها في

---

(١) ابن الأبّار، التّكملة، ج٤، ص٢٣٩.
(٢) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٤٠.
(٣) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٤٥.
(٤) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٤٨.
(٥) المصدر السّابق.
(٦) المصدر السّابق.

ذلك- أنّها "كانت عفيفة أريبة أديبة من صوالح النّساء، ذات جمال بارع وأدب صالح"[١]، ولم يزد.

٦- أفرد مساحة كبيرة لنساء تلقّين العلم الشّرعيّ- على رجال أسرهنّ غالبًا- وألقينه، ونِلْن من مديحه وتقريظه الكثير، فمن راويات للحديث مثل عابدة المدينة الّتي روت عن مالك بن أنس حديثًا كثيرًا[٢]، وأم الحسن المكناسيّة الّتي "حجّت وسمعت الفقه والحديث"[٣]، وأسماء بنت أبي داوود الّتي "روت عن أبيها كثيرًا، وشاركته في بعض شيوخه"[٤]، ومن معلّمات للقرآن والعلوم الشّرعيّة مثل أخت القاضي منذر بن سعيد البلوطيّ (مجهولة الاسم) الّتي كانت النّساء يقصدنها في المسجد "للذّكر والتّفقّه في الدّين ودراسة سير العابدين، وكان لها ببلدها شأن كبير"[٥]، كما ترجم لرشيدة الواعظة الّتي "كانت تجول في بلاد الأندلس تعظ النّساء وتذكّرهنّ، وكان لها صيت واتّصاف بالخير"[٦]، وسواهنّ، ولم يكن تعليمهنّ مقصورًا على النّساء فحسب؛ إذ أشار ابن الأبّار في غير موضع إلى أنّ الرّجال كانوا يأخذون العلم عن النّساء، ومنهم أبو داوود المقرئ الّذي أخذ علم العروض عن إشراق السّويداء، وقرأ عليها نوادر

(١) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٤٩.
(٢) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٤٠.
(٣) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٤٤.
(٤) المصدر السّابق، ج٤ن ص٢٥٤.
(٥) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٤٥.
(٦) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٥٩.

القالي والكامل للمبرّد[١]، وبقيّ بن مخلد الّذي سمع من أمّ الحسن المكناسيّة الفقه والحديث[٢].

٧- ترجم لعدد من النّساء اشتهرن بحظّ وافر من علوم العربيّة المختلفة، ومنهنّ إشراق السّويداء العروضيّة الّتي أخذت عن مولاها أبي المطرّف العربيّة واللغة والآداب، وبرعت في علم العروض وأوزان الشّعر[٣]، وعتيق الأقوبيّة الّتي كانت "ممّن شهر بحفظ العلم والأدب وتفنّنت"، كما جمعت إلى ذلك علوم التّفسير والفقه والقراءات السّبع[٤]، وغيرهما.

٨- وقف على أسماء عدد من الكاتبات في قصور الأمراء والخلفاء، ومنهنّ رقيّة بنت الوزير تمّام بن عامر بن علقمة الّتي "كانت تكتب لابنة الأمير المنذر بن محمّد"[٥]، ولبنى كاتبة الحكم المستنصر، ونظام كاتبة هشام المؤيّد[٦]، ووضعهنّ في طبقات؛ إذ رأى أنّ لبنى تزيد في المرتبة على سواها، فيما جعل مزن كاتبة النّاصر وكتمان كاتبة قصر الخلافة في طبقة واحدة[٧].

٩- عُني بالتّرجمة لشاعرات مشهورات متجرّدًا من إبداء أي رأي في أغلبهنّ مثل حسّانة بنت أبي المخشيّ وحفصة بنت حمدون[٨]، أو مادحًا تصاون بعضهنّ مثل زينب بنت إبراهيم بن تيفلويت ومهجة بنت ابن عبد

---

(١) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٥١.

(٢) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٤٤.

(٣) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٥٠.

(٤) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٥١.

(٥) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٤٥.

(٦) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٤٩.

(٧) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٤٧.

(٨) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٤٠، ص٢٤٨.

الرّزّاق[١]، ولم يوجّه سهام نقده الأخلاقيّ سوى لنزهون بنت القليعيّ الّتي ختم ترجمتها بقوله: "وكانت ماجنة"[٢]. أمّا ولّادة ومهجة فلا أثر لهما بين تلك التّراجم، على الرّغم من إفاضة سابقيه بالحديث عن ولّادة بصورة خاصّة.

١٠- ترجم لمغنّيات مشهورات حذقن الغناء، وكانت أغلبهنّ من الجواري، ومنهنّ: فضل المدنيّة وقمر البغداديّة ونزهة الوهبيّة[٣]، وقد جمعن إلى موهبة الغناء ثقافة عامّة استدعتها ظروف العبوديّة وخضوعهنّ للعرض والطّلب بوصفهنّ سلعة تباع وتشترى[٤].

١١- نَدَرَتْ الإشارات إلى تراجم نساء أسهمن في العلوم الطّبيعيّة على عظيم ما وصلت إليه الأندلس في تلك المجالات، فعدا لبنى الكاتبة الّتي كانت تجيد الحساب، أشار إلى جارية الحكم المستنصر الّتي حذقت التّعديل (حساب رؤية الهلال) وخدمة الإسطرلاب وما يجري مجراه، وألزمها الخليفة المستنصر خدمة ما تعلّمته في داره[٥]، ومن المفارقة أنّ هذه المرأة الّتي تميّزت على نظيراتها بشيء جديد بقيت مجهولة الاسم، في حين استرسل ابن الأبّار في ذكر نسب أخريات لم يقدمّن شيئًا يذكر

---

(١) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٥٥، ص٢٦٢.

(٢) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٥٩.

(٣) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٤١، ص٢٤٥، ص٢٥٠.

(٤) للمزيد عن العلاقة بين العبوديّة والإبداع، انظر: العلي، فريال، "الجواري في الأندلس، جدل العبوديّة والإبداع"، مجلّة التّواصل الأدبيّ، جامعة باجي مختار، عنّابة، الجزائر، العدد العاشر، جانفي٢٠١٨، ٢٠٤-٢٣٥.

(٥) ابن الأبّار، التّكملة، ج٤، ص٣٤٧.

في الحياة العامّة في الأندلس سوى أنّ إحداهنّ كانت زوج فلان أو جاريته أو ابنته.

١٢- أشار ابن الأبّار -في موضعين- إلى قضيّة ثقافيّة مهمّة جدًّا تتعلّق بإسهام النّساء في حركة التّأليف، ففتحونة بنت جعفر كان لها كتاب عنوانه "قيان الأندلس" عارضت به كتاب الأغاني للأصفهانيّ[١]، وأمّ الهناء كان لها تأليف في القبور[٢]، إلاّ أنّ أيًّا منهما لم يصل إلينا، وفوّت ضياعهما فرصة تقديم صورة أكثر وضوحًا عن المرأة المثقّفة في الأندلس.

وبذلك يكون هذا الكتاب هو الأكثر أهميّة في تقديم صورة المرأة المثقّفة في الأندلس وقراءة واقعها وتحليل أبعادها في أيّ دراسة، ولا سيّما الشّاعرات منهنّ[٣]، لكن أكثر ما يؤخذ عليه أنّه انشغل بترجمة أعلام نساء لا حضور لهنّ في الحياة الثّقافيّة عامّة والأدبيّة خاصّة، وليته ادّخر جهده هذا للحديث عن نساء لهنّ إنجازات تسهم في توضيح الصّورة أكثر من ذلك.

كما ترجم ابن الأبّار في نهاية كتابه "تحفة القادم" لعدد قليل من النّساء دون أن يحصرهنّ تحت عنوان مستقلّ (باب النّساء)، وهنّ: حمدة بنت زياد المؤدّب، ونزهون بنت القليعيّ، وهند خادم أبي محمّد الشّاطبيّ الكاتب، وحفصة بنت الحاجّ[٤]، والقاسم المشترك بينهنّ أنّ جميعهنّ كنّ شاعرات، وعني بتدوين بعض شعرهنّ أكثر

---

(١) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٥٤.

(٢) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٥٧.

(٣) انظر مثلًا: بو فلّاقة، سعد، الشّعر النّسويّ: أغراضه وخصائصه الفنّيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ١٩٩٥.

(٤) ابن الأبّار، تحفة القادم، أعاد بناءة وعلّق عليه: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٢٣٤-٢٤٠.

ممّا عني بترجمة حياتهنّ وأخبارهنّ، وأغلب المقطوعات الشّعريّة في الغزل؛ عفيفه وماجنه، باستثناء مقطوعة لحفصة قالتها بين يدي الأمير الموحديّ عبد المؤمن بن عليّ كما يشير محقّق الكتاب(١)، واثنتين لنزهون؛ الأولى في هجاء رجل قبيح الصّورة عرض لخطبتها(٢)، والثّانية في الرّد على أستاذها المخزوميّ الّذي عرّض بها وبمجونها(٣).

ولم يقدّم ابن الأبّار أيّ حكم نقديّ على المقطوعات الّتي أوردها، لكنّه أثبت بيتي المخزوميّ في مجونها، وفيها يقول(٤):

على وجهِ نزهونٍ من الحُسْنِ مسحةٌ وإنْ كان قدْ أضحى من الصّون عاريا
قواصدُ نزهـونٍ توارِكُ غيرها ومن قصـدَ البحـرَ استقلَّ السّواقيا

وهذا ما يؤكّد ما سبقت الإشارة إليه من إدانة المجتمع لأيّ ميل للتّحرّر عند المرأة الأندلسيّة، وعليها أن تبقى في صراع مرير معه للدّفاع عن نفسها، ومهاجمة من هاجمها؛ إذ ردّت بمقطوعة من ثلاثة أبيات آخرها(٥):

وصرتُ أقبـــحَ شيءٍ في صـــــورةِ المخزومي

أمّا ابن سعيد الأندلسيّ (ت٦٨٥هـ)، ففي كتابه "رايات المبرّزين وغايات المميّزين" أفرد بابًا لمن ندر في غرناطة من النّساء في القرن السّادس الهجريّ فقط، ولم يأتِ على ذكر أيّ ممّن سبق ذكرهنّ في التّراجم السّابقة، ويبدو أنّ لذائقته الأدبيّة– في تدوين نوادر الشّعر وغرائبه– أثرًا في ذلك؛ إذ يفتتح ترجمته لنزهون بنت

(١) انظر الحاشية رقم ٢، ص٢٤٠ من الكتاب.
(٢) المصدر السّابق، ص٢٣٧.
(٣) المصدر السّابق، ص٢٣٨.
(٤) المصدر السّابق، ص٢٣٧.
(٥) المصدر السّابق، ص٢٣٨.

القلاعيّ بقوله: "لها نوادر مشهورة، وهي الّتي قالت لابن قزمان الزّجّال، وقد رأته بغفارة صفراء: أصبحت كبقرة بني إسرائيل، ولكن لا تسرّ النّاظرين"(١)، كما بدا معجبًا بتفوّقها على الأعمى المخزوميّ في إجازة الشّعر؛ إذ دخل عليه الشّاعر الكَتنديّ يومًا، "فقال له أجز:

"لو كنتَ تُبصرُ من تُكلّمه"

فأطال الفكر فلم يأت بشيء، فقالت:

"لغدوتَ أخرسَ من خلاخلهِ

البدرُ يطلعُ في أَزِرَّتِه والغصنّ يمرحُ في غلائِلِهِ"(٢)

كما أورد لها بيتين آخرين في مديح أبي بكر بن سعيد صاحب أعمال غرناطة فحسب(٣).

وممّا يؤكّد أنّ معيار الاختيار عنده قائم على كلّ نادر وغريب- بصرف النّظر عن مصدره الذّكوريّ أو الأنثويّ- ما كتبه عند ترجمته لحفصة بنت الحاجّ الرّكونيّة؛ إذ يقول: "لغرناطة بها وبنزهون وبزينب الوادي آشيّة على سائر بلاد الأندلس أعظم مزيّة. وحسبك أنّ بعض أعلام الشّعراء لم أجد لهم من المعاني الغريبة ما يشفع لهم في إثبات أسمائهم في هذا المجموع، وقد شفع لهنّ إحسانهنّ فيه"(٤)، لكنّه عند ذكر أعلام وادي آش أشار إلى حمدة بنت زياد المؤدّب لا زينب، وهي الملقّبة بخنساء

(١) ابن سعيد الأندلسيّ، رايات المبرّزين وغايات المميّزين، تحقيق وتعليق: محمّد رضوان الدّاية، طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق، ط١، ١٩٨٧، ص١٥٩.

(٢) المصدر السّابق، ص١٦٠.

(٣) المصدر السّابق، ص١٦١.

(٤) المصدر السّابق.

الأندلس، وأورد لها مقطوعتين شعريتين فحسب[١].

ومع ما أظهره ابن سعيد من موضوعيّة في اختياراته، وتفضيله لشعر هؤلاء الأديبات على شعراء كثر، إلاّ أنّه اقتصر على نساء القرن السّادس فحسب من ناحية، وأفرد لهنّ بابين خاصّين بهنّ بعيدًا عن رجال عصرهنّ من أهل المئة السّادسة في مملكة غرناطة من ناحية أخرى، ويبدو أنّه استثقل ضمّهن إلى مجموع الشّعراء اقتداء بأسلافه، أو ربّما تحكّمت به أنساق ثقافيّة عابرة للعصور لم تستطع كسر حاجز عالم الحريم حتّى من باب الثّقافة، وهو الأرجح.

وأمّا عبد الواحد المراكشيّ (ت٧٠٣) فكان الأكثر تنظيمًا في تراجم النّساء؛ إذ أوردهنّ في كتابه "الذّيل والتّكملة لكتابي الموصول والصّلة" مرتّبات على الحروف، منوّعات إلى أندلسيّات وغرائب، كما فعل في الرّجال[٢]، وهي نظرة متقدّمة في محاول الموازنة بين الطّرفين، إلاّ أنّه – أسوة بكلّ المترجمين– أفرد لهنّ بابًا في نهاية مؤلّفه الضخم.

وقد وصل إلينا من تراجم النّساء في هذا الكتاب سبع وخمسون ترجمة، ويبدو أنّ هذا الكتاب لم يصل إلينا كاملًا؛ إذ انتهى بمن اسمها سارة دون ذكر ترجمة لها، ولمّا كان المراكشيّ قد نقل أغلب تراجمه عمّن سبقه– ولا سيّما ابن الأبّار– فهذا يؤكّد عدم اكتماله، وجلّ ما في هذا الباب– ممّا وصل إلينا– منقول عمّن سبقه من كتّاب التّراجم الأندلسيّين. وثمّة إشارة غير مسبوقة عند المراكشيّ لعالمة في الطّبّ هي أم عمرو بن أبي مروان بن زهر[٣]، وأخت ابن زهر الحفيد، ولعلّه نقل بعض

(١) المصدر السّابق، ص١٦٦–١٦٧.

(٢) المراكشيّ، محيي الدّين عبد الواحد بن عليّ، الذّيل والتّكملة لكتابي الموصول والصّلة، تحقيق: إحسان عبّاس ومحمّد بن شريفة وبشّار عوّاد، دار الغرب الإسلاميّ، تونس، ط١، ٢٠١٢، مج٥، ص٤٠٦

(٣) المصدر السّابق، مج٥، ص٤١٢–٤١٣.

خبرها عن ابن أبي أصيبعة في كتابه "عيون الأنباء في طبقة الأطبّاء" الّذي ذكرها وابنتها في ثنايا حديثه عن أخيها[١] ولم يذكر سواهما في كتابه، وربّما استدعى حديثه عن الأطبّاء من آل زهر ذكر أم عمرو وابنتها، لكنّ المراكشيّ لم يذكر الابنة، وربّما أشار إليها لاحقًا في الجزء المفقود من آخر الكتاب، ولم يكتفِ المراكشيّ بما أورده ابن أبي أصيبعة عن تميّزها في صناعة الطّبّ والمداواة، واختصاصها بعلاج نساء المنصور بن عبد المؤمن، بل زاد على ذلك بقوله: "وقد تُستفتى في الطّبّ لرجالهم، فتزيد بذلك مكانة إلى مكانتها"[٢]، وهو أمر مهمّ يشي بأنّ الرّجال كانوا يقبلون على استشارة النّساء في أمور الدّاء والدّواء دون حرج، ولكن ليس من المؤكّد فيما إذا كان هذا الأمر خاصًّا بسلاطين الموحّدين أو عامًا في الأندلس والمغرب.

والإضافة الثّانية هي إشارته إلى كتاب لأَمَةِ الرّحمن أمّ هانئ – وهي أم الهناء عند ابن الأبّار– غير كتابها في القبور، وهو كتاب في الأدعية[٣].

وكتاب أخير في هذا القرن هو كتاب صلة الصّلة لابن الزّبير (ت٧٠٨هـ) الّذي ترجم لأربع عشرة امرأة في باب مستقلّ في نهاية الكتاب[٤]، ولم يأتِ بجديد يُذكر في هذه التّرجمات، ولم يخرج على مألوف سابقيه.

---

(١) ابن أبي أصيبعة، موفّق الدّين أبو العبّاس أحمد بن القاسم السّعديّ الخزرجيّ (٦٨٦هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، شرح وتحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.، ص٥٢٤.

(٢) ، المراكشيّ، الذّيل والتّكملة، مج٥، ص٤١٣.

(٣) المصدر السّابق، مج٥، ص٤٠٦.

(٤) ابن الزّبير، أحمد بن إبراهيم الغرناطيّ (ت٧٠٨هـ)، كتاب صلة الصّلة (ملحق بكتاب الصّلة لابن بشكوال)، تحقيق: أبو العلا العدويّ، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٤٥٥–٤٦٠.

نتائج الدّراسة

خلصت هذه الدّراسة إلى مجموعة من النّتائج، أهمّها:

١- أنّ القليل من كتب التّراجم الأندلسيّة (من القرن الخامس حتّى السّابع الهجريّين) عنيت بأعلام النّساء اللواتي أسهمن في الحياة الثّقافيّة عامّة والحياة الأدبيّة خاصّة، مع كلّ ما يقال عن دورها الكبير في بناء الحضارة الأندلسيّة منذ مرحلة مبكرة من الوجود العربيّ الإسلاميّ في شبه الجزيرة الإيبيريّة.

٢- أنّ تلك المصادر الّتي ترجمت للنّساء لم ينجح أيّ منها في كسر الحواجز بين عالم الرّجال والحريم، أو يحاول عمليًّا إخراجهنّ من دائرة المهمّشين، وتمظهر ذلك في وضع أعلام النّساء في أبواب مستقلّة في نهايات الكتب، باستثناء كتاب "رايات المبرّزين" لابن الأبّار لاعتماده التّصنيف الجغرافيّ الزّمنيّ، إلاّ أنّه لم يخرج عن التّصنيف العامّ لسابقيه ومعاصريه، فقد جعل أعلام النّساء في كلّ مئة في آخر باب من المدن الّتي ينتمين إليها.

٣- أنّ ذائقة بعض المؤرّخين وتوجّهاتهم الفكريّة والنّفسيّة أثّرت في اختياراتهم من ناحية، وفي أحكامهم النّقديّة من ناحية أخرى، فتقرّر القبول أو الرّفض/ الاعتراف أو الاغتيال على ضوء محافظة هؤلاء النّساء على الأنساق الثّقافيّة السّائدة أو الخروج عليها ومحاولة تخطّيها أو تهشيمها.

٤- أنّ الاعتناء بترجمة أعلام الجواري فاق أعلام الحرائر، ولعلّ من أسباب ذلك تسامح المجتمع معهنّ، وتحفظّه في التّعامل مع المرأة الحرّة، وهو لم يكن سمة أندلسيّة خاصّة؛ إذ شهد المشرق كذلك تساهلًا في التّعاطي مع الجواري وكتابة سيرهنّ.

٥- أنّ أغلب صاحبات العلم الشّرعيّ نلن حظًّا وافرًا من العلم بجهد الآباء أو الأزواج أو الأبناء، ولا حرج في تقديمهنّ ذلك العلم للرّجال، وإن لم يكن الأمر شائعًا كما يبدو.

٦- أنّ المعلّمات والشّاعرات والمغنّيات حظين باهتمام أكبر من الطّبيبات والعالمات، وإن كانت بعض الإشارات الواردة في تلك المصادر تشي بمشاركة المرأة في الثّقافة الماديّة لا التّعبيريّة فحسب، لكنّها لا تسعف في بيان مقدار تلك المشاركة ولا قيمتها أو أثرها، وفيما إذا كانت منتجة وفاعلة أو نادرة تتوقّف على الاستعدادات الشّخصيّة الخاصّة بالمنجِزة.

٧- أنّ المدوّنة الشّعريّة الّتي وصلت إلينا في تلك المصادر لا تتناسب كمًّا ونوعًا مع القول بوجود حركة شعريّة نسويّة قويّة في الأندلس يمكن أن تكون منافسة لشعر الشّعراء وأن يُحتفى بها، ولا سيّما أنّ المقياس الأساسيّ هو الجودة، وهو ما لا يتوفّر في معظم ما بين أيدينا من مقطوعات شعريّة منسوبة لبعضهنّ.

٨- أنّ للمرأة إسهامًا لا يُعرف مقداره أو نوعه في حركة التّدوين والتّأليف، ولم تقتصر مهاراتها على الفنون الشّفويّة فحسب، وهذه الممارسة الكتابيّة- وإن فاتتنا فرصة الاطّلاع على مضامينها لتقييمها- تعدّ – في عموم التّجربة- نقلة نوعيّة للمرأة من مساحة "الحكي" إلى مساحة "التّدوين المعرفيّ"[(١)].

٩- أنّ المؤرّخ اللاحق كان يقوم بتدوين تراجم النّساء في كتابه نقلًا عمّن سبقه كما هي في الغالب أو يجري بعض التّحوير أو الحذف عوضًا عن الإضافة إلّا قليلًا؛ ممّا أدّى إلى تنميط صورة المرأة في تلك الكتب، وعدم رصد أيّ تغيّر

(١) للمزيد عن الممارسة الكتابيّة للمرأة، انظر: الغذّاميّ، عبد الله، المرأة واللّغة، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦، ص٨-١٢.

يذكر عليها خلال ثلاثة قرون رغم كلّ المظاهر الحضاريّة الّتي تطوّرت في المجتمع الأندلسيّ، والصّورة النّمطيّة للمرأة- في هذه الدّراسة- لم تظهر بناء على نصوص أدبيّة متخيّلة، إنّما على نصوص واقعيّة كتبها فحول المترجِمين لسيرتها وسيرورتها، ومن ثمّ صورتها وصيرورتها، وهذه الصّورة النّمطيّة شوّهت البعد الإنسانيّ فيها بوصفها كائنًا ثقافيًّا مستقلًّا، وكرّس تبعيّتها لأنساق المجتمع الذّكوريّ الّذي تعيش فيه قبولًا أو رفضًا[1].

(١) للمزيد عن خطورة الصّورة النّمطيّة للمرأة، انظر: الزّهرانيّ، معجب بن سعيد، "صورة المرأة في خطاب ابن رشد"، مجلّة التّراث العربيّ، اتّحاد الكتّاب العرب، مج٢٧، ع١٠٥، ص٢٤-٤٨.

الخـــاتمة

وبعد، فقد خلصت هذه الدّراسة إلى أنّ صورة المرأة المثقّفة في كتب التّراجم- لتلك الحقبة الزّمنيّة- كانت نمطيّة ومنقوصة ومهمّشة، وأخطر ما في ذلك أنّ الباحث قد يلجأ إلى سدّ فراغات تلك الصّورة بالاجتهاد في التّأويل أو بناء تصوّرات مغلوطة ربّما تؤدّي إلى تضخيم دور المرأة في الحياة الثّقافيّة في ذلك العصر، وإن كانت لا تنفيه بالتأكيد، فالمعلومات الواردة فيها لا تتناسب ومقدار احتفاء الأدبيّات والمرجعيّات الحديثة بالحركة النّسويّة الأندلسيّة والقول بتميّزها وتفرّدها وتفوّقها على نظيرتها المشرقيّة، وحضور الأسماء لا يعني -بالضّرورة- حضور الإنجاز، وكلّ ما تقدّمه تلك المصادر من إشارات مهمّة لا تكفي للقول بخصوصيّة التّجربة النّسويّة الأندلسيّة أو تأكيد تمتّع المرأة الأندلسيّة بحريّة لا مثيل لها، فهي لم تقدّم نموذجًا ثقافيًّا مغايرًا بوصفها ذاتًا ثقافيّة مستقلّة، ولم تنجُ من سلطة الرّقيب الدّينيّ والاجتماعيّ في كلّ تفاصيل حياتها؛ ممّا يشي بأنّها لم تغادر مساحة الحريم الثّقافيّ في الواقع، ورهن تلك التّجربة بالتّحرّر الجنسيّ عند بعض الشّاعرات- خاصّة- كان عليهنّ لا لهنّ، فمفهوم الحريّة يتجاوز الجسد إلى الكينونة؛ سواء أعند المرأة أم الرّجل.

ولعلّ تقدير بعض المستشرقين المبالغ فيه لحريّة المرأة الأندلسيّة[1] هو من أوقع كثيرين في فخ ترديد مقولات تمجّد حريّة لا وجود لها على أرض الواقع، وهي مغالطة تضاف إلى مغالطات أخرى لقراءاتهم المتعدّدة عن الحضارة العربيّة الإسلاميّة

(١) انظر مثلًا: بيرس، هنري، الشّعر الأندلسيّ في عهد ملوك الطّوائف، ترجمة: الطّاهر أحمد مكّيّ، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٨.

في الأندلس[١].[٢] ومن المفارقة زعم بعض الدّارسين أنّ المرأة الأندلسيّة تأثّرت بالمرأة الغربيّة في فهمها للحريّة في زمن كانت المرأة الأوروبيّة تتعرض فيه للقتل إن فكّرت في قراءة كتاب.

(١) انظر: شيخة، جمعة، "الحقيقة والمغالطة في قراءة بعض المستشرقين عامّة والإسبان منهم خاصّة"، أشغال ندوة ثنائيّة الخطأ والصّواب في الثّقافة الإسلاميّة، مركز الدّراسات الإسلاميّة بالقيروان، تونس، أكتوبر ٢٠١٠، ص٧-١٤.

المصادر والمراجع

- ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعيّ البلنسيّ (ت٦٥٨)
- تحفة القادم، أعاد بناءة وعلّق عليه: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- التّكملة لكتاب الصّلة، تحقيق: عبد السّلام الهرّاس، دار الفكر للطّباعة، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- أبو أصبع، صالح (وآخرون)، ثقافة الصّورة في الفنون، وقائع مؤتمر فيلادلفيا الدّوليّ الثّاني عشر، جامعة فيلادلفيا، الأردن، ٢٠٠٧.
- ابن أبي أصيبعة، موفّق الدّين أبو العبّاس أحمد بن القاسم السّعديّ الخزرجيّ (٦٨٦هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، شرح وتحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- بركات، هشام محمّد، "حول إنكار الشّخصيّات الأدبيّة: شخصيّة ولّادة بنت المستكفي أنموذجًا"، مجلّة جيل الدّراسات الأدبيّة والفكريّة، الجزائر، العدد ٤١، مايو ٢٠١٨، ص١٣١-١٤٠.
- ابن بسّام، أبو الحسن عليّ بن بسّام الشّنتريني (ت ٥٤٢هـ)، الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأندلسيّ القرطبيّ (ت ٥٧٨هـ)، الصّلة، تحقيق: إبراهيم الأبياريّ، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- البطل، عليّ، الصّورة في الشّعر العربيّ حتّى آخر القرن الثّاني الهجريّ (دراسة في أصولها وتطوّرها)، دار الأندلس للطّباعة والنّشر والتّوزيع،

القاهرة، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- بنشريفة، محمّد، "في تاريخ المغرب والأندلس- المرأة في كتب التّراجم الأندلسيّة، مجلّة المناهل، ع٤٤، ١ يونيو ١٩٩٤، ص٨٩-١٠٥.
- بهجت، منجد مصطفى، "أعلام النّساء مستلّة من كتاب التّكملة لابن الأبّار (ت٦٥٨)"، مجلّة المورد، وزارة الثّقافة والإعلام- دائرة الشّؤون الإعلاميّة- العراق، مج١٩، ع١، ١٩٩٠، ص١٠٠-١٢٤.
- بيرس، هنري، الشّعر الأندلسيّ في عهد ملوك الطّوائف، ترجمة: الطّاهر أحمد مكّيّ، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٨.
- التّجانيّ، محمّد بن أحمد (ت بعد ٧٠٩هـ)، تحفة العروس ومتعة النّفوس، تحقيق: جليل العطيّة، رياض الرّيّس للكتب والنّشر، قبرص، ط١، ١٩٩٢.
- الحميديّ، أبو عبد الله محمّد بن فتّوح بن عبد الله (ت ٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق وتعليق: بشّار عوّاد معروف، محمّد بشّار عوّاد، دار الغرب الإسلاميّ، تونس، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- حنفي، عبد النّاصر، "ثقافة الصّورة"، مجلّة فصول، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ع٦٨، شتاء/ ربيع ٢٠٠٦، ص٣٧٤٠-٤٠٣.
- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمّد القيسيّ الإشبيليّ (ت٥٢٩هـ)، قلائد العقيان، تحقيق وتعليق: حسين خريوش، مكتبة المنار، الأردنّ، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الخيرونيّ، حليمة، "المرأة اللغويّة في كتب تراجم العدوتين بين الصّمت والكلام، مجلّة التّواصليّة، جامعة يحيى فارس بالمدية، الجزائر، مج ٧، ع٢٠، ٢٠٢١، ص١٤٧-١٦٣.

- ابن درّاج القسطليّ، أبو عمر أحمد بن محمّد (ت ٤٢١هـ)، ديوان ابن درّاج، تحقيق وتعليق وتقديم: محمود علي مكّيّ، منشورات مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعريّ، الكويت، ٢٠٠٤.
- ابن الزّبير، أحمد بن إبراهيم الغرناطيّ (ت٧٠٨هـ)، كتاب صلة الصّلة (ملحق بكتاب الصّلة لابن بشكوال)، تحقيق: أبو العلا العدويّ، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- الزّهرانيّ، معجب بن سعيد، "صورة المرأة في خطاب ابن رشد"، مجلّة التّراث العربيّ، اتّحاد الكتّاب العرب، مج٢٧، ع١٠٥، ص٢٤-٤٨.
- ابن سعيد الأندلسيّ، أبو الحسن عليّ بن موسى (ت٦٨٥هـ)
- رايات المبرّزين وغايات المميّزين، تحقيق وتعليق: محمّد رضوان الدّاية، طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق، ط١، ١٩٨٧.
- المغرب في حلى المغرب، تحقيق وتعليق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤.
- الشّمريّ، هزّاع بن عيد، ولّادة بنت المستكفي بين الحقيقة والأسطورة، دار أجا للنّشر والتّوزيع، السّعوديّة، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- انظر: شيخة، جمعة، "الحقيقة والمغالطة في قراءة بعض المستشرقين عامّة والإسبان منهم خاصّة"، أشغال ندوة ثنائيّة الخطأ والصّواب في الثّقافة الإسلاميّة، مركز الدّراسات الإسلاميّة بالقيروان، تونس، أكتوبر ٢٠١٠، ص٧-١٤.
- الضّبيّ، ابن عميرة (ت٥٩٩هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياريّ، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- الطّرابلسيّ، حسناء بوزويتة، "كتاب تسهيل السّبيل للحميديّ وأزمة الكيان

الأنثويّ، حوليّات الجامعة التّونسيّة، جامعة منوبة- كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات، ع٤٨، ٢٠٠٤، ص٢٧-٥٠.

- عبّاس، إحسان، تاريخ النّقد الأدبيّ عند العرب، بيروت، دار الثّقافة، ط٣، ١٩٨٣.
- عبّاس، إحسان (وآخرون)، دراسات في الأدب الأندلسيّ، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا، ١٩٧٦.
- العلي، فريال "الجواري في الأندلس، جدل العبوديّة والإبداع"، مجلّة التّواصل الأدبيّ، جامعة باجي مختار، عنّابة، الجزائر، العدد العاشر، جانفي٢٠١٨، ٢٠٤-٢٣٥.
- غارولو، ماريا تيريسا، "تراجم ولّادة وإشكاليّاتها"، دورة ابن زيدون، الأبحاث والوقائع، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين الشّعريّة، الكويت، ٢٠٠٦.
- الغذّاميّ، عبد الله، المرأة واللّغة، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦.
- ابن الفرضيّ، عبد الله بن محمّد بن يوسف الأزديّ القرطبيّ (ت٤٠٣هـ)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياريّ، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- بو فلّاقة، سعد، الشّعر النّسويّ: أغراضه وخصائصه الفنّيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ١٩٩٥.
- مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار مطابع المستقبل، القاهرة، ط١، ١٩٨٠.

- المراكشيّ، محيي الدّين عبد الواحد بن عليّ، الذّيل والتّكملة لكتابي الموصول والصّلة، تحقيق: إحسان عبّاس ومحمّد بن شريفة وبشّار عوّاد، دار الغرب الإسلاميّ، تونس، ط١، ٢٠١٢.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.
- هناويّ، نادية، الصّورة الأدبيّة والصّورة الثّقافيّة في الأدب العربيّ الحديث، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ٢٠١٠.